غضب وتحكّم

بسمة النسور

يعرّف علم النفس الغضب بأنه «عاطفة إنسانية شائعة تتميز بإحساس قوي بالاستياء، والاستثارة النفسية الزائدة مع الرغبة في إلحاق الأذى بالغير، وذلك من خلال تحفيز المشاعر العدوانية، سعياً إلى الانتقام، فعندما يشخّص دماغنا العاطفي وجود تهديد خارجي، ما قد يمسّ سلامته أو مكانته في المجتمع، فإنه يطلق تأثيراً متسلسلاً في أجسادنا قد يؤدّي إلى الاستجابة الفورية بالعنف اللفظي أو الجسدي». وعادةً ما يكون الغضب بسبب اعتداء حقيقي أو متخيّل، ويتفاوت الأفراد بطبيعة الحال في أنماط غضبهم وطرق التعبير عنه بحسب اختلاف شخصياتهم، المحفوظ منهم من يمتلك آليات وأدوات التحكّم بغضبه وأحكام عقله، قبل الإقدام على تصرّف طائش متهوّر سوف يندم عليه لاحقاً.

هذا النموذج الذي يتسم بالحكمة والحلم والتأنّي والعقلانية هو الأكثر نجاحاً وتقدّماً وتمكّناً في الحياة، جزّاه الله لجم مشاعره الثائرة، ما يجنّبه ارتكاب الأخطاء في المواقف التي تعترضه على الإطلاق هدنة طويلة المدى، تحاول المفاوضات المستمرّة في القاهرة، المتوقع أن يشارك فيها رئيس وكالة الاستخبارات الأميركية، وليم بيرنز، إنقاذ اتفاق الإطار الذي أشرف عليه بيرنز ومسؤولون من قطر ومصر وإسرائيل في باريس أخيراً.

وستتم هذه المفاوضات في ظل تهديدات إسرائيلي بشن مجازر جديدة في مدينة رفح الحدودية، رغم الدعوات الدولية المعارضة، بما في ذلك من الحليف الأميركي في واشنطن ورسائل الطيران المصري على مسار فيلادلفيا المهدّد بإمكانية تدخل مصر في حال نفّذ جيش الهجوم المقرّر على رفح نزوح فلسطيني إلى سيناء، القدس وباقي الأراضي المحتلة في ترقّب شديد، وفي وضع ما بين الهدوء الذي قد يجلبه اتفاق والانفجار الذي سيتم إذا لم يجر التوصل إلى أي اتفاق، واستمرت آلة القتل الإسرائيلية بشن غارات جوية واجتياح أرضي لمحافظة رفح الفلسطينية.

ومعروف أن المشاعر في رمضان، وهو شهر صوم وعبادة، ترتفع، وكذا وتيرة الغضب والاحتقان، خصوصاً في حال رفض الاحتلال وصول المصلين إلى باحات المسجد الأقصى. وكان الاحتلال قد تعامل، في الماضي، ببعض من الليونة بتوفير تسهيلات لسكان باقي مدن الضفة الغربية للسماح لهم بالوصول إلى القدس الشريف، ولكن خلافاً دائماً بقي بشأن الاعتكاف والذي يرتفع في الأيام العشرة الأخيرة من الشهر الفضيل، لا سيما في يشمل ليلة القدر.

وقد أفادت أنباء صحافية بأن لقاء عالي المستوى مع عسكريين إسرائيليين وأمنيّ سر منظمة التحرير الفلسطينية، حسين الشيخ، عقد في تل أبيب للتفاهم وتوفير أجواء هادئة خلال رمضان، ولكن لا الاحتلال ولا حسين الشيخ يستطيعان السيطرة على أفواج المصلّين الصائمين في الشهر الفضيل، في حال ظلّ العدوان الإسرائيلي مستمرّاً على قطاع غزّة، واعتداءات المستوطنين المعتصرين والجنود المتحرّرين من أي انضباط في الأراضي المحتلة.

عندما وافقت المقاومة في غزّة على اقتراح باريس لصفقة تبادل أسرى وهدوء في غزّة وقدّمت تصوّراً مفصلاً لرؤيتها جن جنون رئيس حكومة الاحتلال، نتنياهو، وعاد إلى تكرار الأسطوانة المشروخة عن قرب الانتصار الشامل على حركة حماس، وكان العدوان والقتل الجماعي للشعب الفلسطيني وللمقاومة سينهيان حركة متجذرّة في فلسطين، وهو ما يؤكّده حلفاء إسرائيل الأميركان وغيرهم. ولكن ما بقي غامضاً في الموقف الإسرائيلي قدرتهم على الاستمرار في ضخّها بمظاهرات واحتجاجات عارمة عديدة اندلعت خصوصاً في الجهات المعارضة لها من سيطرة المكون الشيعي المنخرط في مشروع استراتيجي لتغيير موازين القوى الداخلية بعد تعطيل عمل المؤسّسات الدستورية.

بموازاة الحرب، يتلقّى الجسم اللبناني يومياً جرعة نظر أحادية الجانب للصراع مع المحتل الإسرائيلي، والحديث يدور حول اليوم التالي للحرب، وعمّا إذا كان سيكون مختلفاً، إذا كانت ستمثل فرصة لحزب الله لاستكمال التجريب السياسي، وأن يأخذ ضماناته من الأميركي قبل انتخاب رئيس الجمهورية، ومن نوع التأمين الدولي والإقليمي الذي يتخطى الجانب المحلي، لن يكتب آخر

لبنان بين مساري الحرب والدبلوماسية

يقظان التقي

يعيش اللبنانيون يومياتهم في معمولات نفسية محمولة على توقعات الأسوأ، يردّدون، وهم يتحدّثون إلى أنفسهم عبارة «الله يسترنا»، من جهة تزايد عمليات إطلاق النار واحتمالات نشوب حرب على الحدود بين إسرائيل وحزب الله، والمستمرّة منذ هجوم حركة حماس في 7 أكتوبر، ومن جهة أخرى، مشروع الفيدرالية ودعوات قديمة تعود إلى مرحلة الحرب الأهلية.

تسمح الأوضاع المتفلتة للمكونات الطائفية بالتصعيد في خطابها، وبإدارة أوضاع ذات قابلية للتجزئة، وتعتبر أطراف عديدة أنها مجبرة عليها، وتحلن رفضها التورّط في صراعات إقليمية حماية لها من سيطرة المكون الشيعي المنخرط في مشروع استراتيجي لتغيير موازين القوى الداخلية بعد تعطيل عمل المؤسّسات الدستورية.

بموازاة الحرب، يتلقّى الجسم اللبناني يومياً جرعة نظر أحادية الجانب للصراع مع المحتل الإسرائيلي، والحديث يدور حول اليوم التالي للحرب، وعمّا إذا كان سيكون مختلفاً، إذا كانت ستمثل فرصة لحزب الله لاستكمال التجريب السياسي، وأن يأخذ ضماناته من الأميركي قبل انتخاب رئيس الجمهورية، ومن نوع التأمين الدولي والإقليمي الذي يتخطى الجانب المحلي، لن يكتب آخرون

شبكياً للبنانيين على بياض، وسيتمسك بمرشحه لرئاسة الجمهورية في إطار الحصول على مزيد من المكتسبات قبل الذهاب الى مرشح آخر.

لن يكون لبنان بعد حرب غزّة كما كان قبلها، ما يتلاقى مع هواجس البطريركية المارونية وتصريحاتها في مستوى غير مسبوق من التصعيد في خطابها السياسي، وهي بصدد الانتقال من ردّات الفعل إلى خطوات استباقية، موجّهة تحذيرات من المفاوضات المتصلة بالحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة في غياب رئيس للجمهورية، ومحاولة تعديل نظام الدولة المدنية وزوال فيها ينتهي كلياً أو جزئياً، والانتقال إلى دولة دينية مذهبية في ظل هيمنة حزب الله المدعوم من إيران بالمال والسلاح. تصريحات بصفها الحزب بأنها «تحريضية غير مسؤولة».

لا مشكلة للبنانيين مع البعد السياسي والإعلامي للحزب. لكن المشكلة مع مستوى ثالث خارج السيطرة من أجهزة أمنية وعسكرية مرتبطة بالحرس الثوري، واضحت مصدر خوف للبنانيين عديدين. كان المطلوب إدارة ترتيب مرحلة من هذا الصراع مختلفة عن العام 1982 وانفساماته، وعمّا كان عليه المشهد منتصف السبعينيات، أو قبل سنة من اغتيال رفيق الحريري، والثمن الكبير الذي دفعه إلى إنقاذ لبنان والسعي إلى تعزيز موقعه على خريطة المنطقة. وهذه ظروف لا تساهم في الوحدة والرد على التهديد الإسرائيلي، ولا مواجهة كوارث بالجملة. خسائر لبنان (ما زالت العمليات محصورة) تقارب 1,5 مليار دولار، مرتبطة بالدمار في البنى التحتية والطرقات والمباني السكنية (15%) والأراضي الزراعية وأضرار غير مباشرة 300 مليون دولار نتيجة إقفال المؤسسات وتوقيف الأعمال، وهناك نحو 85 ألف نازح من 46 بلدة وقرية جنوبية. لا توجد حياة سياسية في لبنان إلا بمعنى تكوين الجماعات مساحات طائفية تزيد نفوذها. حالة من الفراغ والملل ومن اللايقين السياسي في غياب مشروع الدولة الذي يضمن الاختلاف والتعدّدية، يتبين يومياً ضعف السلطات الموجودة بما هي عليه من الخطا وسوء التوفيق على ما تشتمله سياساتها.

تطلب القوى اللبنانية من المجتمع الدولي مساعدتها في مجالات عدة. تلتقي وفود كثيرة من هم في الحكم لعلّ وعسى، لكن الحكم معطل، لا حكم إلا بالدولة، وتمضي الأمور من دونها، ولا تأمين تغيير يذكر في امور مصيرية. وقد تسرّب الملل إلى سفراء الدول والمبعوثين في محاولاتهم إحداث خرق في الملف الرئاسي وترتيب إصلاحات في مجال الحياة العامة.

الجهد الذي يبذله الأميركيون والأوروبيون لعدم حدوث هجوم إسرائيلي على لبنان تحول إلى الحديث عن عدم التعرض لبيروت والجيش اللبناني وتعزيزه عديداً وعدّة والتعاون مع قوات الأمم المتحدة (يونيفيل)، وعودة العمل بالآلية الثلاثية لتجنب الحوادث المؤلمة. فرنسا لا تملك خطة ولا القدرة على تسويق «توصيفها الحقيقي» من دون دعم أميركي وأوروبي وعربي. لم تقطع الأمل في تحقيق نتيجة عبر اتصالات أجراها وزير خارجيتها ستيفان سيغورنيه بنظيره الإيراني حسين أمير عبد اللهيان في الطلب من حزب الله التهدئة. وليس واضحاً استئناف جان إيف لودريان لمهمته (المسلّية). ترتبط عودته بإعادة انطلاق أنشطة الخماسية الإقليمية -الدولية، ومهمة السعي للفصل بين ما يجري في غزّة من حرب والواقع الرئاسي أو كوارث بالجملة. خسائر لبنان (ما زالت العمليات محصورة) تقارب 1,5 مليار دولار، مرتبطة بالدمار في البنى التحتية والطرقات والمباني السكنية (15%) والأراضي الزراعية وأضرار غير مباشرة 300 مليون دولار نتيجة إقفال المؤسسات وتوقيف الأعمال، وهناك نحو 85 ألف نازح من 46 بلدة وقرية جنوبية. لا توجد حياة سياسية في لبنان إلا بمعنى تكوين الجماعات مساحات طائفية تزيد نفوذها. حالة من الفراغ والملل ومن اللايقين السياسي في غياب رئيس للجمهورية، ومحاولة تعديل نظام الدولة المدنية وزوال فيها ينتهي كلياً أو جزئياً، والانتقال إلى دولة دينية مذهبية في ظل هيمنة حزب الله المدعوم من إيران بالمال والسلاح. تصريحات بصفها الحزب بأنها «تحريضية غير مسؤولة».

لا مشكلة للبنانيين مع البعد السياسي والإعلامي للحزب. لكن المشكلة مع مستوى ثالث خارج السيطرة من أجهزة أمنية وعسكرية مرتبطة بالحرس الثوري، واضحت مصدر خوف للبنانيين عديدين. كان المطلوب إدارة ترتيب مرحلة من هذا الصراع مختلفة عن العام 1982 وانفساماته، وعمّا كان عليه المشهد منتصف السبعينيات، أو قبل سنة من اغتيال رفيق الحريري، والثمن الكبير الذي دفعه إلى إنقاذ لبنان والسعي إلى تعزيز موقعه على خريطة المنطقة. وهذه ظروف لا تساهم في الوحدة والرد على التهديد الإسرائيلي، ولا مواجهة كوارث بالجملة. خسائر لبنان (ما زالت العمليات محصورة) تقارب 1,5 مليار دولار، مرتبطة بالدمار في البنى التحتية والطرقات والمباني السكنية (15%) والأراضي الزراعية وأضرار غير مباشرة 300 مليون دولار نتيجة إقفال المؤسسات وتوقيف الأعمال، وهناك نحو 85 ألف نازح من 46 بلدة وقرية جنوبية. لا توجد حياة سياسية في لبنان إلا بمعنى تكوين الجماعات مساحات طائفية تزيد نفوذها. حالة من الفراغ والملل ومن اللايقين السياسي في غياب رئيس للجمهورية، ومحاولة تعديل نظام الدولة المدنية وزوال فيها ينتهي كلياً أو جزئياً، والانتقال إلى دولة دينية مذهبية في ظل هيمنة حزب الله المدعوم من إيران بالمال والسلاح. تصريحات بصفها الحزب بأنها «تحريضية غير مسؤولة».

لا مشكلة للبنانيين مع البعد السياسي والإعلامي للحزب. لكن المشكلة مع مستوى ثالث خارج السيطرة من أجهزة أمنية وعسكرية مرتبطة بالحرس الثوري، واضحت مصدر خوف للبنانيين عديدين. كان المطلوب إدارة ترتيب مرحلة من هذا الصراع مختلفة عن العام 1982 وانفساماته، وعمّا كان عليه المشهد منتصف السبعينيات، أو قبل سنة من اغتيال رفيق الحريري، والثمن الكبير الذي دفعه إلى إنقاذ لبنان والسعي إلى تعزيز موقعه على خريطة المنطقة. وهذه ظروف لا تساهم في الوحدة والرد

> يعتبر حزب الله أن قضية غزّة لن تصل قريباً إلى حلول نهائية، وهو مجبر على الانخراط أكثر ليبقي على وجوده في الميدان

كاريكاتير عماد حجاج

الاتحاد العام التونسي للشغل والاختبار الصعب

المهدي مبروك

مع إيقاف السلطات الأمنية كاتبه العام الجهوي في مدينة القصرين، بحشر الاتحاد العام التونسي للشغل في حجر الزاوية، وهو الذي لا شك أنه ساهم مساهمة بالغة، من دون أن يشعر، في ما انتهى إليه من وضع لا يحسد عليه.

ظل اتحاد الشغل أكثر من عقد يعتقد نفسه أنه أقوى من الجمعيات ومن الدولة والأحزاب والمجتمع المدني. وكانت لهذا الاعتقاد مبرّرات، لكنها أخذته إلى غرور وصلف كبيرين. ولا أحد ينكر أن الاتحاد ساهم مساهمة كبيرة في الثورة، حين ضحّى بمظاهرات واحتجاجات عارمة عديدة اندلعت خصوصاً في الجهات البعيدة عن رقابة البيروقراطية النقابية التي كان يقودها أنذاك المكتب التنفيذي، وهو أعلى هيئة قيادية فيها، وكانت مظاهرة صفاقس التي دعا إليها الاتحاد حدثاً فارقاً في تاريخ الثورة.

كان الاتحاد بعد سقوط النظام فاعلاً سياسياً مصطفاً وراء أحزاب سياسية بعينها، وقادته التوجهات المعلنة لقياداته اليسارية إلى اتخاذ مواقف سياسية حادّة ممن حكموا. حين أخفق اليسار في أن يكون منتخباً عبر صناديق الاقتراع، تسلّل إلى الاتحاد ليمارس السياسة بشكل آخر. أصدر الاتحاد تحت تأثير التحزّب المفرط لقياداته مواقف سياسية متشدّدة وعبثية، وخاض سلسلة من الإضرابات الوحشية في جلّ مرافق الحياة دون استثناء: الصحة، التعليم، الخدمات البلدية، بما فيها التنظيف والتطهير، حتى جثت البلاد على ركبتيها من دون رحمة. كان الاتحاد فوق المحاسبة، ومن يجرؤ على ذلك الغول الذي ترتعد له فرائص من حكموا؟ كانت تصريحات القيادات موغلة في التطرف، وعرقل هؤلاء أي قرار من شأنه أن يعيد إلى الإنتاج ديناميته المعهودة. تصدّرت مطالبهم الفئوية الضيقة أجندة الحكومات، ونالوا تحت الغضب اتفاقيات حظي بها منخرطو الاتحاد بزيادات غير مسبوقة في الأجور. كان ذلك أنانية فجّة صادرة عن اتحاد تغوّل على الدولة وقدم مصلحته الخاصة. كانت الأولوية مثلاً ستمنح لانتداب العاطلين من العمل أو تنمية الجهات المحرومة، ولكن تمسّك الاتحاد بتلك الأولوية، وهو يعلم جيداً أن خزينة البلاد تفرغ يوماً بعد يوم، وهو الذي أوقف النتاج كلياً في الحوض المنجمي.

> لا يريد سعيد أن يرى الاتحاد التونسي العام للشغل قوياً قد يشكل جبهة ممانعة

رئيس القسم في مستشفى عمومي. قاد الاتحاد حركة تمرد غير معلنة، إلى أن وصل التونسيون إلى 25 جويلية (يوليو/ تموز) 2021. اختار الاتحاد مساندة الرئيس قيس سعيّد، واعتبر أنه أراحهم من «العشرية السوداء» متناسياً أنّه قد ساهم في تخريبها، وقد ساعدهم في إدارتها أيضاً من خلال حضوره المباشر في أروقة الحكم. ومع ذلك، بدأت تصريحات قيادته اللاحقة تُحدث شرخاً بينه وبين الرئيس سعيّد، وهو الذي لا يرغب في أن يقاسم إنجازه أحد، كذلك فإنّه مصرٌّ على ألّا يكون شريكاً في الحكم. ... كان سعيّد لا ينظر بعين الارتياح إلى الاتحاد الممتلئ بالأجساد النقابات في الأحزاب، فهي تشكل حاجزاً بينه وبين شعبه. أصرّ الاتحاد على أن يكون شريكاً للرئيس، من دون أن يعارضه في مواقفه، بما فيها التي انتهكت الدستور وحقوق الناس. كانت قيادات «الاتحاد» تتشفّى من خصومها الأيديولوجيين غير عابئة بأنّ الدائرة ستدور عليهم.

(أكاديمي ووزير تونسي سابق)

عن الأمم المتحدة: ولكن أخلاق الرجال تضيق

جمال محمد إبراهيم

1

حين انبرى الأمين العام للأمم المتحدة، غوتيريس، في مؤتمره الصحافي يوم 8 فبراير/ شباط الجاري، يُحدّث عن الحريين اللتين ادمتا الضمير الإنساني، حرب إسرائيل في قطاع غزّة وحرب روسيا في أوكرانيا، لم يبهتني حديثه وقد سمعته يغفل، عامداً فيما بدا لي، عن ذكر أزمة الحرب الناشبة في السودان والأوضاع الإنسانية المزرية هناك. تابعت ردوده حين استفسرته صحافية نائبة بسؤال مباغت عن الأزمتين في كلٍّ من غزة وأوكرانيا، لكنها أضافت إليهما بالذكر تداعيات الحرب في السودان، فدهشتُ لأنه تجاهل في ردّه أي إشارة عن السودان. ولنا أن نسأل: كيف تغيب عن ذهن الأمين العام ماساة ملايين السودانيين وقد خرجوا لاجئين خروجاً قسرياً بسبب الحرب المستعرة في بلادهم، ولا يذكرها الأمين العام للمنظمة الأممية، وتتذكّرها صحافية متابعة للأوضاع الإنسانية في أنحاء العالم. أهي من اهتمامات الصحافيين ومسؤولي الإعلام أم هي من صميم اهتمامات مسؤولي الأمم المتحدة؟

غير أني كدتُ أن أجد العذر لغوتيريس، لكون الحكومة المغيّبة في الخرطوم، وعلى رأسها قائد للجيش السوداني صمّم، بجدّ وبإصرار على طرد ممثل الأمين العام للأمم المتحدة فولكر بيرتيس من السودان، ثمّة من سيفسّر ذلك التجاهل بردّ فعل وضيق من قرار رأس السُّلطة الانقلابية في السودان طرد ممثله فيه، والذي أتى في سبتمبر/ أيلول الماضي، تقديم استقالته بما قد يعني حرصاً منه على ألا تمسّ مصداقية المنظمة الأممية في تعاملها مع دولة مضطربة.

2

ربما في يوم انعقاد مؤتمر الأمين الصحافي، تداول المنخرطون في وسائل التواصل الاجتماعي تسجيلاً بالصوت والصورة لأوّل موظفٍ أممي من منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسف» يتجول وسط خرائب العاصمة الخرطوم، ويحدث بصوته والة تصويره عن المآسي في الشوارع المحطمة والمساكن المنهوبة بصور حية ومؤلمة، وحملت نبرته ما صدمه من مشاهد مُرعبة ودمار مطبق في الأنحاء جراء القتال المتواصل منذ إبريل/ نيسان 2023، بما يفوق الخيال. بينما الطبيعي أن ترفع الهيئات والوكالات الأممية تقاريرها إلى الأمانة العامة للمنظمة الدولية، لا أن يجرى تعميم متابعات اولئك الموظفين الأمميين ومشاهداتهم رصداً لتلك المآسي الدائرة في مناطق الأزمات، على مواقع التواصل. يتبادر إلى الذّهن على الفور أن ما بثه ذلك الموظف الأممي، وهو في حال من الذهول، صدر منه على عجل، لتأثره من هول ما شاهد من صور.

3

ذلك «الكليب» القصير الذي بثّهُ موظف يونيسف وهو يتجوّل في خرائب الدّمار ومشاهده في السودان، وعلى صدره سترة الوكالة الأممية الزرقاء، يماثل ذهوله، في نظر الكثيرين، ذلك الذهول الذي وثقته القنوات الفضائية من مشاهد كارثية في الحريين في كلٍّ من أوكرانيا وغزّة. الفارق الوحيد أن القتل والدمار في أوكرانيا وغزّة هما نتيجة قتال بين غريمَيْن، ولكن صورة حرب السودان تبدو غاية في الإرباك والعقد. إزاء قتال ينخرط فيه سودانيون مسلحون إلى أسنانهم يقتلون بعضهم بعضا وبيدّمرون بلادهم بأيديهم في حرب عبثية، تداعت خلالها مقوّمات دولتهم ومؤسّساتها وبُناها التحتية وتاريخها الحاضر وانهارت تماما. الأدهى والأمرّ هلاك الوفٍ من المدنيين ممّن لا ناقة لهم في تلك الحرب ولا جمل، ونزوحهم بالملايين إلى ملاذات آمنة، وهي في الحقيقة «غير آمنة»، داخل البلاد وخارجها. ذلك وضعٌ لا ينبغي أن تتجاهله المنظمة الأممية، وفي مواثيقها ما يذكّر باولويات مهامّها في حفظ الأمن والسّلم الدوليين، ناهيك عن موجبات مسؤولياتها في الالتفات الفوري للماسي الإنسانية والكارثية المتمثلة في هدر دماء المدنيين الأبرياء، بما يكاد أن يصنّف إبادة جماعية وتصفيات عرقية تدينها المواثيق والاتفاقيات والقوانين الدولية الإنسانية. إلى ذلك، من ينظر إلى الحروب الثلاث في أوكرانيا والسودان وقطاع غزّة، قد لا يرصُد اختلافاً في الكارثية والتوحّش، بل هو اختلافٌ في الأمكنة، فهل نجد عذراً لغوتيريس في نسيانه ذكر كارثية حرب السودان في مؤتمره الصحافي؟

4

لعلّ التحدّي الماثل أمام قيادة المنظمة الأممية، بمؤسساتها وهيئاتها ووكالاتها المتخصصة، حاجته لتقييم حقيقي لجوانب الأزمة في السودان، بما يعين في رسم خريطة طريق للتعامل مع أوضاع دولة فاشلة فحسب، بل دولة غائبة تماماً وأوضاعها معقدّة. المشهد الرئيس هو مشهد حرب بين غريمين قواتهما سودانية، لكنها ليست حرباً أهلية. ثمّة أطراف خارجية وأصابع تزيد أوار تلك الحرب في سعيها إلى جني مكاسب ومطامع خفية، لكن بينها، في الوقت نفسه، أطراف تسعى إلى التوسّط في الظاهر بدرجات تعلو أحياناً وتُبطئ في أحيان أخرى، لكن رهانها يبدو منصبّاً على إنهاك طرفي القتال السودانيين. بذلت منظمات إقليمية، وبعض دول مؤثرة، مساعي، لكنها تظل كسيحة لا تقدّم حلولا، ولا توقف القتال، إما بسبب تعدّد عضوية السودان، مثل ما هو حادث في حالة الاتحاد الأفريقي، أو بسبب ضعف الصوت الفاعل، كما في حالة جامعة الدول العربية، أو لرفض سلطة الأمر الواقع في السودان في التعامل مع جميعها، كما هو الحال مع هيئة الأمم المتحدة ومنظمة إيقاد، وذلك مسلك سلطة شبحية أقعدها العجز.

5

يبقى على المنظمة الأممية أن تشقّ طريقا سياسيا وإنسانيا لإيقاف الحرب الدائرة، ولكن يبقى عليها قبل ذلك أن تصل إلى تقييم حقيقي للسلطة الانقلابية القائمة حالياً في بورتسودان، بوصفها قيادة أمر واقع أجهضت ثورة شعبية نجحت في إسقاط حكم استبداديٍّ مكث على صدر أمة صبرت عليه 30 عاما، فإذا هي الآن محض ذكرى بعيدة. غير أن تلك السلطة الانقلابية عجزت عن تشكيل حكومة تدبر البلاد، فيما الحرب دمّرت مؤسّسات الدولة، فهي في حالة انهيار، وجيشها منهك، بل كاد أن يكون جيشاً مهزوما، وخدمة مدنية غائبة، وجُلّ قواها العاملة من المهنيين، هم لاجئون خارج البلاد أو نازحون غائبون في ملاذات بعيدة. هي سلطة أمر واقع لا تملك أن يُخرج صوتها ليعبر عن مواقفها، إلا كصياح مخنوق. هي سلطة لا تملك حتى إصدار قرار شكلي بإعلان مدينة بورتسودان عاصمة حقيقية وبديلة للعاصمة المدمّرة، التي تمارس سلطتها المنقوصة منها. هي سلطة انقلابية تكاد تعجز عن إكمال ترشيح سفراء يمثلونها في الخارج، بل ومن سفرائها من عجز عن التواصل مع وزارة خارجيته، المُغيّب قلبها وعقلها، ويزيد في إضعافها تعدّد السنتها. تلك حال من عجز عن تشكيل حكومة تقف على رجليها فتحترم سيادتها أطراف المجتمع الدولي، ولا الانخراط أكثر فيبقى على وجوده في الميدان بشروط المصلحة الإيرانية، وليس مجاميع عناصر المصلحة الوطنية.

(كاتب لبناني)

6

لن يبقى أمام المنظمة الأممية، أمانتها العامة ومجلس أمنها، إلا أن تنظر إلى واقع أوضاع السودان المائل، والتي زادها تردّي الأوضاع الإنسانية ضغثاً على إبّالة، وصغراً على استصغار، لدولة أزرى بها العسكر من بين بنيها أيّما زراية. لقد صار الطريق لإنقاذ السودان وشعبه من حرب عبثية تكاد تكمل عاما مليئاً بالأشواك والبلقاخ، يكون حرياً بالمنظمة الأممية، وبعد أن ضاقت أخلاق قياداتها، من خيار لازم لأجل الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، فرض الوصاية المؤقتة على السودان لدواعٍ إنسانية.

إذا ضاقت أخلاق الرجال على قول الشاعر العربي القديم، أو ضاعت أخلاق بعض قيادات المنظمة الأممية، فإن لها خيارات لا تضيق ولا تضيع.

(سفير سوداني سابق)

> يكون حرياً بالمنظمة الأممية، وبعد أن ضاقت أخلاق قياداتها، من خيار لأجل الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، فرض الوصاية المؤقتة على السودان لدواعٍ إنسانية

رمضان في القدس: هدوء أم انفجار؟

داود كتّاب

يسود غموض في المدينة المقدسة وفي أرجاء فلسطين بشأن ما قد يحدث مع حلول شهر رمضان المبارك في 11 من الشهر المقبل (مارس/ آذار)، رغم التركيز الكبير، ومنذ بدء عملية طوفان الأقصى، في الشهور الأربعة الماضية بالأساس، على العدوان على قطاع غزّة، إلا أن الانظار تتحوّل إلى بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبالذات القدس الشريف مع بداية الشهر الفضيل. من الصعب التكهن بما قد يحدث في فلسطين في رمضان، إن لم يتم التوصل قبل ذلك إلى اتفاق وقف شامل لإطلاق النار، أو على الأقل هدنة طويلة المدى، تحاول المفاوضات المستمرّة في القاهرة، المتوقع أن يشارك فيها رئيس وكالة الاستخبارات الأميركية، وليم بيرنز، إنقاذ اتفاق الإطار الذي أشرف عليه بيرنز ومسؤولون من قطر ومصر وإسرائيل في باريس أخيراً.

وستتم هذه المفاوضات في ظل تهديدات إسرائيلي بشن مجازر جديدة في مدينة رفح الحدودية، رغم الدعوات الدولية المعارضة، بما في ذلك من الحليف الأميركي في واشنطن ورسائل الطيران المصري على مسار فيلادلفيا المهدّد بإمكانية تدخل مصر في حال نفّذ جيش الهجوم المقرّر على رفح نزوح فلسطيني إلى سيناء، القدس وباقي الأراضي المحتلة في ترقّب شديد، وفي وضع ما بين الهدوء الذي قد يجلبه اتفاق والانفجار الذي سيتم إذا لم يجر التوصل إلى أي اتفاق، واستمرت آلة القتل الإسرائيلية بشن غارات جوية واجتياح أرضي لمحافظة رفح الفلسطينية.

ومعروف أن المشاعر في رمضان، وهو شهر صوم وعبادة، ترتفع، وكذا وتيرة الغضب والاحتقان، خصوصاً في حال رفض الاحتلال وصول المصلين إلى باحات المسجد الأقصى. وكان الاحتلال قد تعامل، في الماضي، ببعض من الليونة بتوفير تسهيلات لسكان باقي مدن الضفة الغربية للسماح لهم بالوصول إلى القدس الشريف، ولكن خلافاً دائماً بقي بشأن الاعتكاف والذي يرتفع في الأيام العشرة الأخيرة من الشهر الفضيل، لا سيما في يشمل ليلة القدر.

وقد أفادت أنباء صحافية بأن لقاء عالي المستوى مع عسكريين إسرائيليين وأمنيّ سر منظمة التحرير الفلسطينية، حسين الشيخ، عقد في تل أبيب للتفاهم وتوفير أجواء هادئة خلال رمضان، ولكن لا الاحتلال ولا حسين الشيخ يستطيعان السيطرة على أفواج المصلّين الصائمين في الشهر الفضيل، في حال ظلّ العدوان الإسرائيلي مستمرّاً على قطاع غزّة، واعتداءات المستوطنين المعتصرين والجنود المتحرّرين من أي انضباط في الأراضي المحتلة.

عندما وافقت المقاومة في غزّة على اقتراح باريس لصفقة تبادل أسرى وهدوء في غزّة وقدّمت تصوّراً مفصلاً لرؤيتها جن جنون رئيس حكومة الاحتلال، نتنياهو، وعاد إلى تكرار الأسطوانة المشروخة عن قرب الانتصار الشامل على حركة حماس، وكان العدوان والقتل الجماعي للشعب الفلسطيني وللمقاومة سينهيان حركة متجذرّة في فلسطين، وهو ما يؤكّده حلفاء إسرائيل الأميركان وغيرهم. ولكن ما بقي غامضاً في الموقف الإسرائيلي قدرتهم على الاستمرار في ضخّها بمظاهرات واحتجاجات عارمة عديدة اندلعت خصوصاً في الجهات المعارضة لها من سيطرة المكون الشيعي المنخرط في مشروع استراتيجي لتغيير موازين القوى الداخلية بعد تعطيل عمل المؤسّسات الدستورية.

بموازاة الحرب، يتلقّى الجسم اللبناني يومياً جرعة نظر أحادية الجانب للصراع مع المحتل الإسرائيلي، والحديث يدور حول اليوم التالي للحرب، وعمّا إذا كان سيكون مختلفاً، إذا كانت ستمثل فرصة لحزب الله لاستكمال التجريب السياسي، وأن يأخذ ضماناته من الأميركي قبل انتخاب رئيس الجمهورية، ومن نوع التأمين الدولي والإقليمي الذي يتخطى الجانب المحلي، لن يكتب آخرون

تطبيق القانون انتقائياً

سامح راشد

تتناقل وسائل الإعلام المصرية، بإلحاح، أنباء حملات تشنّها الأجهزة الأمنية في مصر ضد شبكات اتجار في العملة والذهب. وفضلاً عن أن الاتجار في العملة وتداولها ليس مُحرّماً ويُفترض ألا يكون مجرّماً، من شأن الإلحاح الإعلامي في بثّ تلك الأنباء، وتأكيد ملاحقة الأمن لتلك «العصابات» أن يثير تساؤلاتٍ بادر الحكم فيها إلى تعليق العمل بمعاهدة السلام مع إسرائيل الموقّعة في 1979، والمبنية أساسا على اتفاقية كامب ديفيد (1978)، لأن هذا لن يحدُث، وليس وارداً أن يحدُث. ولا يتعلق الأمر بالرئاسة الراهنة في القاهرة، والمعقودة للمشير عبد الفتاح السيسي، فإن إجماعا واسعا جدا بين عموم المصريين على التعامل مع المعاهدة أمر واقع، وعدم نقضها، بدليل أنّ أحدا من المرشحين الثلاثة عشر الذين تنافسوا على الرئاسة في 2012 عقب ثورة يناير لم يتعهد للناخبين بشيء من هذا، وإن وعد بعضهم (عمرو موسى مثلا) بتعديل في «كامب ديفيد»، يزيد من عدد القوات المصرية في سيناء على العدد المنصوص عليه في الاتفاقية. ولا يُنسى أن برنامج مرشّح جماعة الإخوان المسلمين خلا من الإتيان على إلغاء المعاهدة، بل نقل عنه جيمي كارتر الذي التقاه أنه سيلتزم بها إذا أصبح رئيسا، وإن نقل عنه مقربون منه أنه شخصيا لن يلتقي أي مسؤول إسرائيلي، وسيترك هذا لمرؤوسين منه، بل زيد على هذا أن المرشح الأصلي للجماعة، خيرت الشاطر، قبل أن يستبدل بمرسي، أبلغ زوارا له من الكونغرس احترامه المعاهدة إذا صار رئيس مصر.

يُساق هذا المقطع من أرشيف قريب، وتلك الإفادة اللغوية من البصريين والكوفيين من النحاة، بمناسبة خبر جديد في منحاه، وربما غير مسبوق في مبناه، ذاع نهار أمس، وأشاعته هيئة البث الإسرائيلية، موجزه ما نقلته صحيفتا نيويورك تايمز ووول ستريت جورنال عن مسؤولين مصريين (بلا أسماء) قولهم إن القاهرة طلبت من عواصم غربية إبلاغ الحكومة الإسرائيلية أن عملية اجتياح عسكري برّي في رفح، ينجم عنها إجبار مئات الآلاف من الغزّيين إلى الفرار إلى سيناء، ستعرّض معاهدة السلام إلى خطر، فقد تعمد القاهرة إلى «تعليق» العمل بها. ومع بقاء الخبر غير رسمي، ولم تعقب الحكومة المصرية بشيء، بشأنه، ما يجعله في دائرة «التسريب» المنضبط، والخبر غير المؤكد يفرض جسّ النبض، كان لافتا تأكيد الصحيفتين أن وزير الخارجية الأميركي، بلينكين، سمع تلويحا بتهديد بهذا الأمر من الرئيس السيسي ووزير الخارجية سامح شكري. ومع الوزن المهني المعتبر للصحيفتين، معطوفا عليه ما يرشح عن «حنق» القاهرة من تمادي إسرائيل في العنف الباهظ الذي أحدث كلفة بشرية فظيعة بين الغزيين، ودمارا مهولا في القطاع المنكوب، فإن في الوُسع أن يُرجَّح أن خبر «التهديد» على قدر من الصحة والمصداقية، يجيز الخوض، ولو بتحسّب وتحوّط كثيرَين، في الذي يمكّن أن يطرأ من وقائع لو «مضت» القاهرة في تهديدها الذي لم تصرح به، والذي يأتي أياما بعد نبأ سابق غير مؤكد أيضا عن امتناع السيسي تلبية طلب من نتنياهو الحديث معه هاتفيا. لم يكن أداء الحكم في مصر بشأن عدوان الإبادة الإسرائيلية في غزّة مرضيا، كان المشتهى (ولا يزال؟) أن يرتفع إلى ما توجبه ليس الاعتبارات الوطنية والعروبية والإنسانية فحسب، بشأن نصرة غزة والشعب الفلسطيني فيها، بل إلى ما تفرضه المصالح المصرية نفسها أيضا، وظل مأمولاً من القاهرة أن تمتنع تماما عن الاستجابة للاشتراطات المسيئة إلى وزن مصر ومكانتها، وإلى جيرتها غزّة، لعبور شاحنات المساعدات الإنسانية والإغاثية (

هل لا تزال فلسطين قضية عربية؟

برهان غليون

أولاً، مفاجآت الحرب الفلسطينية الإسرائيلية:

بالرغم من أنّ معركة غزّة أعادت إلى الواجهة القضية الفلسطينية التي اعتقد الأميركيون والأوروبيون ومعظم الحكومات العربية أيضاً أنها انتهت وأسدل عليها الستار، فإن الصراع الحقيقي في المشرق والشرق الأوسط عموماً كان خلال العقود القليلة الماضية على منطقة الخليج العربي، وما تمثله من احتياطي كبير للطاقة الأحفورية وفوائض مالية استثنائية وأسواق استهلاكية عسكرية ومدنية، تشكّل السيطرة عليها ورقة استراتيجية رئيسة في يد الدول الكبرى المتنافسة على إعادة تشكيل النظام الدولي. ومن أجل الاحتفاظ بالسيطرة على هذا الكنز والاستفادة من كل ما يدرّ على الحائزين عليه من عوائد وريوع مادية واستراتيجية، خاضت الولايات المتحدة وشركاؤها من الدول الصناعية الأوروبية معارك وحروباً باردة ونارية منذ أكثر من سبعة عقود، ضد الاتحاد السوفييتي السابق، وضد الدول الإقليمية التي بدأت تعتقد في التسعينيات أن بإمكانها المشاركة، ولو جزئياً، في هذا الكنز، واليوم ضد محاولات الصين وروسيا التغلغل في الإقليم وتكوين تحالفات تزيد من فرصها في زحزحة الدول الصناعية الغربية عن مواقعها الراسخة. وفي هذا السبيل، كبّدت مصر ثلاث هزائم عسكرية لتحييدها وإجبارها على الانسحاب من المنافسة وتوقيع اتفاقية مهينة تخلّت فيها عن سيادتها في سيناء التي فقدتها في حرب 1967، وقضي على العراق ودمّرت سورية وليبيا وزعزعت أركان الدول الصغيرة التي برزت فيها حركات مقاومة فلسطينية أو لبنانية. وفي جميع هذه الحروب، لعبت إسرائيل دور القاعدة المتقدّمة والعصا الغليظة لهذا التحالف، وكان لها قصب السبق في خوض هذه الحروب وربحها لصالح الغرب وبتأييده ودعمه الكاملين بالسلاح العسكري والدبلوماسي والسياسي، بما في ذلك تحييد القانون الدولي وتقويض عمل الأمم المتحدة للحفاظ على ما تبقى من هذا النظام وما يرتبط به من وهم القيادة العالمية. في هذا السياق، وقع هجوم 7 أكتوبر وقوع الصاعقة على وضع إقليمي كان الجميع يعتقد فيه أن سلام الأقوياء بدل الشجعان قد فرض نفسه، وزالت جميع العوائق أمام بسط «السلام» الأميركي والإسرائيلي وزوال المخاطر التي تفاقمت في العقود الماضية، فجاء «طوفان الأقصى» ليحطّم الآمال ويزعزع التوازنات التي كانت تُبنى لبنة لبنة منذ عقود. لم تأت المفاجأة من الجرأة الاستثنائية التي ميّزت هجوم المقاتلين الفلسطينيين واختراقهم حاجز الموت، ولكنها جاءت أكثر من الانهيار السريع وغير المسبوق لجيش الاحتلال وأجهزته الأمنية. أما المفاجأة الثالثة في هذه الحرب، والتي جعلت مآلاتها مستحيلة الحسم على جميع الأطراف، فهي من دون شك التخطيط المسبق لميدان المعركة والمقاومة طويلة النفس التي أبدتها الفصائل الفلسطينية، بالإضافة إلى صمود شعب غزّة والضفة الغربية البطولي والفدائي بالفعل، وكذلك من مقاومة العرب الوقوع في فخّ إدانة الفصائل الفلسطينية ومسايرة السياسة الأميركية. هذه المفاجآت الثلاث هي التي جعلت من عملية عسكرية أو غارة فدائية محدودة الهدف، ترمي، على الأغلب، إلى تحرير بعض الرهائن والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال والاحتجاج على اعتداءات الإسرائيليين المتكرّرة على المسجد الأقصى ووقف عجلة التطبيع العربي الإسرائيلي، إلى حرب طاحنة يرى فيها الأميركيون والغربيون عامة تهديداً خطيراً لخطوطهم الدفاعية ونفوذهم الكبير في المشرق، وتستدعي، بالتالي، مواجهة شاملة لحماية مصالحهم واستثماراتهم الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية الكبيرة والتاريخية التي اعتقدوا أنها تتعرّض لتهديد خطير فيها، وفي المناسبة ذاتها فرصة لتلقين درس قاس ليس للفلسطينيين فحسب، وإنما أيضاً لجميع القوى الدولية والإقليمية التي تحاول منافستهم وتغيير موازين القوى لصالحها في المنطقة. كان الهدف الأكبر من الحرب الإسرائيلية الغربية في غزّة إعادة تثبيت نظام الشرق الأوسط الأميركي الأطلسي ومنع الدول العربية من الاعتقاد بانهيار الردع الإسرائيلي، واستعادة حريتها في إقامة علاقات دولية متنوعة، وبالتالي، إجبارها على الاصطفاف القوي وراءها والعمل حسب الأجندة الأميركية، ثم أخيراً حل المسألة الفلسطينية بما يتوافق مع مصالح إسرائيل وأهدافها التوسعية الاستيطانية والانتهاء منها مرّة واحدة وإلى الأبد.

لذلك، لم يأت الرد على سبيل التأديب والعقاب للفصائل «المتمرّدة»، وإنما من أجل إعادة تشكيل المنطقة التي بدأت تتحلّل شيئاً فشيئاً من ارتهانها للسياسة الأميركية وترسيخ أقدام إسرائيل في الشرق الأوسط، بوصفها قلعة الدفاع المتقدّمة عن المصالح الغربية وإزالة غزّة التي لا تزال شوكة في جسم الكيان الدخيل من الوجود، تمهيداً لخنق الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية، و«إقناع» الدول العربية، التي لا تزال متردّدة، بقبول التطبيع المجاني مع إسرائيل. لذلك لم تتأخر العواصم الغربية ووسائل إعلامها، منذ اللحظة الأولى، عن تحويل «حقّ دفاع إسرائيل عن نفسها» إلى شعار مقدّس يخفي وراءه أغراض الحرب الحقيقية ويُجبر الجميع، بما فيهم العواصم العربية، على السير في خطى الحرب الأميركية وتحمل قسطهم فيها من «التضحيات»، وهو الموافقة على ترحيل الفلسطينيين من غزّة والضفة إلى سيناء والأردن، كما ناقشه وزير الخارجية الأميركي في أول زيارة له إلى القاهرة في بداية الحرب.

ثانياً، بين أميركا وإسرائيل:

عقّد رفض الدول العربية هذا المشروع المسألة على الأميركيين الذين تبنّوا خطة نتنياهو كاملة، ورفضوا حتى الحديث عن هدنة أو حماية المدنيين، كما تبنّوا أهداف الحرب الإسرائيلية في القضاء على «حماس» ودفع الفلسطينيين إلى النزوح الجماعي من غزّة. ومرة ثانية، أحبطت المقاومة الفلسطينية القوية والمديدة أوهام الأميركيين والإسرائيليين في حسم الحرب على شروطهم وبتحقيق أهدافهم ووضعهم أمام اختيارات صعبة وشبه مستحيلة: الاستمرار في حرب الإبادة الجماعية مع تحمّل تكاليفها السياسية والأخلاقية الباهظة التي كان أفضل تجسيد لها دفع ملف إسرائيل إلى محكمة العدل الدولية، أو وقف الحرب من دون تحقيق أهدافها الرئيسية، وتحمّل عواقب ما سوف يتحوّل إلى هزيمة استراتيجية لواشنطن وتل أبيب وحلفائهما معاً. هكذا دخلت الحرب في نفق لا يعرف مُشعلوها كيف ينهونها ولا كيف يستمرّون فيها. وهذا ما تشير إليه الخلافات أو ما يبدو كأنه خلافات أميركية إسرائيلية، والذي يتجلّى في مواقف الرئيس بايدن ووزير خارجيته التي لم تدعُ إلى وقف الحرب، بالرغم من الإدانات العالمية، ولكن فقط إلى التخفيف من وتيرة القتل بالجملة للمدنيين، والتراجع عن تهجير السكّان إلى سيناء، مع الوعد بالبحث في مسألة دولة فلسطينية بصيغة محسّنة لواقع غزّة المحاصرة وفي مستقبلٍ غير منظور. وعلى الرغم من هذه التصريحات المهدئة على مستوى الفعل، لم ينقص الدعم الأميركي المالي والعسكري والتقني للحرب الإسرائيلية ولكنه ازداد. ولم يحذف خطر الترحيل الجماعي لسكان غزّة من قائمة الأولويات، بل أصبح تحقيقه أكثر من أي حقبة سابقة ضرورة لتجنيب إسرائيل الاعتراف بالهزيمة وانهيار بنيانها الهش وتفجّر تناقضاتها الداخلية. وبصرف النظر عن النفي الأميركي، لم يزُل خطر هذا التهجير أبداً، ولن يكون من المفاجئ لأحد أن تضع إسرائيل العالم أمام الأمر الواقع وتتحمّل الإدانة اللفظية من واشنطن، ما دامت ضامنة وقوف الإدارة الأميركية وراءها وحمايتها من أي عقاب، مهما كان نوع الجرائم التي ترتكبها. وفي التحليل النهائي، واشنطن أحرص من إسرائيل على عدم خسارة الحرب. وهي ليست معنية كثيراً بتهمة خرق القانون الدولي أو حتى الاتهام بدعم حرب الإبادة لأنها تعتقد أنها هي التي تصنع القانون، وتفرضه على الآخرين. فهي، تماماً كما تعتقد إسرائيل وتفعل، دولة فوق القانون. ولا أعتقد أن واشنطن تخلت عن مشروع ترحيل الفلسطينيين إلى سيناء. أما الدولة الفلسطينية فهي الجزرة التي يستخدمها الأميركيون إلى جانب العصا الإسرائيلية الغليظة لجرّ العرب إلى القيام بالتنازلات المطلوبة، ومنها التطبيع مع إسرائيل ودمجها في المنطقة من دون تنازلاتٍ تذكر. ربما كان هناك خلاف مع نتنياهو الذي يتحدث انطلاقاً من أجندة شخصية في أكثر الأحيان، ويستخدم لذلك لغة استفزازية تجاه العرب وحتى الرأي العام الدولي. لكن هذا لا يلغي أنه يخوض الحرب مع واشنطن وتحت رايتها وبأسلحتها وللأهداف ذاتها. لن توقف الولايات المتحدة، أي المؤسسة الحاكمة بصرف النظر عن تغير الإدارات السياسية، الحرب في الشرق الأوسط، وهو إحدى الساحات المهمّة في الصراع على الهيمنة الدولية، بما يعنيه ذلك من وضع مسافة بينها وبين إسرائيل ووقف الدعم الشامل واللامشروط لمشاريع الأخيرة الاستيطانية والعدوانية. إنها تراهن بالعكس على استخدام نفوذها وقوتها وسطوتها العسكرية والسياسية والمالية الراهنة من أجل إتمام دمج الدول العربية بإسرائيل بوصفها مركز هيمنة إقليمية غربية مستدامة وضمان تمديد سيطرتها على المنطقة إلى أبعد مدى ممكن. وفي هذه الحالة، تستطيع أن تحقق حلم رؤسائها منذ تولي الرئيس أوباما الحكم في بداية القرن في الانسحاب من الشرق الأوسط مع ضمان استمرار نفوذها فيه. هذا هو المشروع الذي تسعى إليه واشنطن. لذلك لا أعتقد أن الوقت حان في نظرها لوقف الاستثمار في إسرائيل عسكرياً ومالياً وسياسياً وأخلاقياً أيضاً أو للعمل على بسط السلام في الشرق الأوسط. ولا تكفي ضربة قوية وموجعة لإسرائيل كي ترضخ واشنطن لمبدأ التعامل مع دول الخليج كشريك، وتتخلى عن التعامل معها كفريسة سائغة. معركة إنهاء النفوذ الأميركي في الشرق الأوسط لا تزال في بدايتها، وبالتالي، فإن الرهان الأميركي والأطلسي على إسرائيل لن يضعف، على الرغم من كل ما حصل، بل سوف يزيد. ولن تتخلى عنها وعما تمثله من شوكة عميقة في خاصرة جميع الشعوب العربية، إلا عندما تجبر بالقوة على ذلك أو تصبح تكاليف حروبها فيها أكبر بكثير مما تستطيع أن تتحمّله أو تفيده من التشبث بها.

> لم تكن حرب فلسطين في الأساس، وليست اليوم، حرباً فلسطينية إسرائيلية، إنها حرب أميركية غربية موضوعها الإبقاء على المنطقة تحت سيطرتها

ثالثاً، الدور العربي الغائب الحاضر:

لا يعني هذا أن إسرائيل سوف تنجح في مشروعها. وعلى الأغلب أنها سوف تخوض فيه حرباً خاسرة. لكن هذا لا يقدّم أي عزاء لا للعرب ولا للفلسطينيين، فبغياب فاعل قوي محلي وطني قادر على توحيد الشعب، في فلسطين وسورية والعراق ولبنان، لن يستطيع أن يقطف ثمار النكسة العسكرية والسياسية والأخلاقية التي شهدها الغرب ومعه إسرائيل. إنما سيصبح مسرحاً للقوى الإقليمية والدولية التي تتمتع بمبادرة أكبر وتسعى إلى ملء الفراغ. وفي هذه الحالة، لا ينبغي أن نتوقّع السير إلى حالة من السلام والاستقرار، وإنما نحو تحوّل المنطقة إلى ساحة لاستعراض القوة، ونجد أنفسنا ضحية هذه الحروب الممتدّة المباشرة أو بالوكالة على امتداد المشرق العربي. ولن تجد دول الخليج المستهدفة الأولى من هذه الحروب من يشدّ من أزرها أو يدعم جهودها للاحتفاظ بأمنها واستقرارها لا إسرائيل ولا الولايات المتحدة ولا الدول الغربية التي سيكون همّها مواجهة خصومها على هذه الأرض ذاتها. يطرح هذا، في نظري، من جديد اليوم، بعد موت النسخة القديمة الرومانسية للقومية، التفكير في إعادة بناء ساحة العمل العربي، وتوحيد المقاومات المتعددة الأشكال للتدخلات الأجنبية التي سوف تشهد نمواً كبيراً في المستقبل، والعمل على بناء تفاهمات عربية جديدة، بهدف توسيع هامش مبادرة الشعوب العربية واستقلالها في مواجهة تحدّي أن تتحوّل بلدانها إلى مسرح لصراع القوى الأجنبية الغربية والشرقية والإقليمية معاً. يحتاج هذا لنقاش كيف نعيد العلاقة أيضاً بين عرب الخليج وعرب جوار الخليج المدان بجريرة ثروته وموقعه بالتحييد، والذين يتحمّلون عبء إخضاعه والهيمنة عليه لصالح الدول التي لا تزال تفكر بروح استعمارية، وترفض أن تتعامل مع العرب من خارج تصوّرها لهم كآبار نفط وعشائر وفصائل إرهابية ومخرّبين، حتى عندما يتعلق الأمر بمن يعيشون على الأرض الأوروبية والغربية ويتمثلون قيم مجتمعاتها وثقافتها. دول الخليج العربي هي اليوم الأقدر والأجدر بأخذ هذه المبادرة ولمّ شمل الشعوب العربية إذا عرفت كيف تستفيد من حالة الإنهاك العسكري والمعنوي للمعسكر الغربي الإسرائيلي. باختصار، لم تكن حرب فلسطين في الأساس، وليست اليوم، حرباً فلسطينية إسرائيلية، إنها حرب أميركية غربية موضوعها الإبقاء على المنطقة تحت سيطرتها، وبشكل خاص على منطقة الخليج، ليس في مواجهة العرب الذين جرى القضاء عليهم واحدهم بعد الآخر، وإنما اليوم أمام طموح قوى إقليمية ودولية عديدة صاعدة وراغبة في المشاركة في الغنيمة أو انتزاعها، إيرانيين وأتراكاً وروسا وصينيين وهنوداً. وليست إسرائيل سوى حصان طروادة الذي صنعته وجهزته، ليس من أجل سواد عيون الشعب اليهودي، وإنما لتجنيد «ضحايا النازية» في الصراع الكبير والقتال من ورائهم. وهذا ما يتجلّى بشكل أوضح في خطاب الرئيس السابق دونالد ترامب وخياراته الشرق أوسطية، والذي سيعود، على الأغلب، إلى الساحة، وهو لا يخفي أن المقصود من دمج إسرائيل في العالم العربي ليس تحقيق الانسجام بين مصالح الطرفين وإنما العكس: إلحاق الدول العربية بإسرائيل للعمل تحت إمرتها وتنفيذ أجندتها وجعلها تدور في مدارها وتحت رقابة أجهزتها الأمنية ومخابراتها في سبيل إدامة النفوذ الأميركي والغربي أطول ما يمكن أمام تزايد ضغط القوى المنافسة الإقليمية والدولية.

(أكاديمي وأول رئيس للمجلس الوطني السوري)

خيارات حماس

سميرة المسالمة

تؤكد تصريحات القادة الإيرانيين أنهم يعملون على تبريد ساحات الاشتباك التي فتحتها حرب الإبادة التي تشنّها إسرائيل على الفلسطينيين في غزّة، وحصرها ضمن الحدود الجغرافية للقطاع، وضمن الحدود السياسية، التي تمكّن الأطراف المعنية من متابعة عملية التفاوض الشاملة في المنطقة، مع الولايات المتحدة. وهم يسعون، من خلال ذلك، لبعث رسالة إلى القوى الإقليمية والدولية بأن إيران هي التي تملك القرار النهائي في مختلف الجبهات التي تديرها أذرعها المحلية في لبنان وسورية والعراق واليمن، من جانب. ومن جانب آخر، يعطي ذلك انطباعا للمعنيين، ولا سيما الولايات المتحدة، بنوع من عقلانية، أو واقعية، في سياسة إيران الخارجية، إذ هي جاهزة للتفاوض، وتسيطر على الوضع، في الصراع مع إسرائيل، علماً أن ذلك يتناقض مع ما ظلت تروّجه عبر سياساتها السابقة، في تبريرها إنشاء مليشيات طائفية مسلحة في بلدان المشرق العربي، وفي ادّعاء إمكانية محو إسرائيل وتسويتها بالأرض خلال أيام. في هذا الإطار، يمكن النظر إلى تصريحات وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان في بيروت (10 فبراير/ شباط)، في مؤتمره الصحافي في لبنان، أنها بداية لمرحلة جديدة في الحوار الإيراني - الأميركي، تتموضع فيه إيران في جهة المعارضين لتوسيع الحرب ضد إسرائيل، عبر الجبهات التي تحكمها، أو تهيمن فيها، وهو إذ يقول: «إن إيران ولبنان يؤكّدان أن الحرب ليست الحل، وأنهما لم يسعيا لتوسيعها»، يدلّ على أن الرسائل المتبادلة مع الجانب الأميركي، بما فيها مطالب الأخير، ولا سيما في لبنان، قد حقّقتها إيران، ما ترك حركة حماس وحيدة في مواجهة إسرائيل، وهو ما يحصل منذ أربعة أشهر، من دون أي مؤازرة من حلف «وحدة الساحات»، أو مساعدة فاعلة تتناسب مع قوة حرب إسرائيل في قطاع غزّة وقسوتها ووحشيتها.

خروج ما يُسمى حلف «المقاومة والممانعة» من الصراع الدائر اليوم في غزّة، أو نأيه عنه، يعني استفراد إسرائيل بحركة حماس، وهو بالقدر الذي ينطبق فيه على الحرب، أي إنها حرب «حماس» وحدها، يعني أن الحل سيكون، أيضاً، على حساب حماس فقط، بحسب ما تفرضه معادلات القوة، التي تتفوّق بها إسرائيل، وأيضاً المعطيات العربية والدولية غير المواتية لحماس، بحيث تبقى تلك الحركة وحيدة قوة مسلحة في الميدان في مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية، إلى جانب الجهاد الإسلامي، مع استثناء قطر وتركيا من الحالة الدولية اللامبالية لأي دور فاعل لحل الصراع، وهما (قطر وتركيا) تعملان من أجل التهدئة الدائمة لتجنيب الفلسطينيين مزيداً من الخسائر، والعودة إلى القرارات الدولية بما يضمن قيام دولة فلسطين.

إضافة إلى الواقع الدولي والعربي المحبط عموماً، فقد أُخرِج نحو مليوني فلسطيني من معادلات الصراع مع إسرائيل في قطاع غزّة، إذ باتوا مجرد لاجئين ونازحين يطلبون النجاة، وهم بالكاد يتدبرون أمور حياتهم اليومية، ما يزيد الضغوط الموجهة على «حماس» ويجعل خياراتها محدودة وصعبة ومكلفة لضمان سلامة من بقي من الفلسطينيين، وكي تحافظ على مكانتها السياسية وصورتها كجهة مسؤولة أمام شعبها. ضمن ذلك تواجه «حماس» خيار الاستمرار في المعركة الجارية، وغير المتكافئة، حتى النهاية تحت شعار «إما نصر وإما استشهاد»، كما طرحته قياداتها، وهو خيار مكلف جداً على الفلسطينيين وعلى «حماس»، ضمن الظروف العربية والدولية التي تحدثنا عنها، حيث من الصعب تحميل «حماس» مسؤولية دحر إسرائيل، بالنظر لقوة إسرائيل الذاتية، وبالنظر للدعم الأميركي والغربي لها، وبالنظر لحال تجاهل الأنظمة العربية لدورها في الصراع مع إسرائيل، ولا سيما مع اقتراب معظم الدول العربية من إتمام صفقة التطبيع مع إسرائيل. ثمّة خيار آخر أمام حماس وأصدقائها، قوامه العمل على وقف هذه الحرب، من مدخل إعادة ترتيب البيت الفلسطيني، عبر إعادة تشكيل السلطة الفلسطينية، وهو أحد الخيارات التي تعمل عليها الأطراف الفاعلة المقربة من «حماس» والسلطة الفلسطينية في رام الله، وفي هذا الخيار تتكبّد حماس بعض الخسائر، مقابل تجنيب الشعب الفلسطيني في غزّة المزيد من المعاناة والتضحيات، وهو خيار لا يعني هزيمة المقاومة، بالقدر الذي يعزز صورتها كجهة مسؤولة إزاء الشعب الفلسطيني، وهو خيار سبقها إليه في لحظة تاريخية سجلت للزعيم الفلسطيني ياسر عرفات عام 1982 عندما اختار مغادرة بيروت لإنقاذ المدينة وسكانها.

لقد مارست حركة حماس في قطاع غزّة، في فلسطين، حقها المشروع في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، كما هو حال كل قوى النضال ضد المحتلين في العالم، بيد أن ذلك لا يعني صوابية كل أشكال الكفاح، بالنظر إلى حسابات الجدوى، أو للمخاطر التي نجمت عن هذا الشكل أو ذاك، على الشعب الفلسطيني، إذ يجب أن يخضع كل شكل للدراسة والتأكّد من نجاعته في استنزاف إسرائيل أكثر من استنزاف الشعب الفلسطيني، من دون أن يقلل ذلك من قدر العمل النضالي وقيمته، أو من مشروعيّته.

> يجب أن يخضع كل شكل من الكفاح المسلح للدراسة والتأكّد من نجاعته في استنزاف إسرائيل أكثر من استنزاف الشعب الفلسطيني

على الجانب الآخر، إعادة تقييم أي عملية، وما آلت إليه نتائجها، ونقدها، والاستفادة من دروسها، واجب على أي جهة تتصدّر العمل السياسي أو العسكري، وقد حدث هذا مع حزب الله في تقييمه عملية خطف جنديين إسرائيليين (الوعد الصادق) ومآلاتها على لبنان وشعبه عام (2006)، وتصريح الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله: «لو علمت أن عملية الأسر كانت ستقود إلى هذه النتيجة (قتل أكثر من ألف لبناني وتدمير الضاحية الجنوبية لبيروت وقرى في الجنوب) لما قمنا بها»، على الرغم من أن حزب الله أغلق من خلالها ملف الأسرى اللبنانيين لدى إسرائيل، وهو ما لم يتحقق للجانب الفلسطيني، رغم كل الأثمان المدفوعة في هذه الحرب، لكنها حتما غيّرت من مفاهيم كثيرة سوّقتها إسرائيل عن نفسها، أنها الدولة الآمنة لشعبها، وهو ما لم يتحقق في ظل تعنّتها، وعدم استجابتها لمشاريع التسوية العادلة للقضية الفلسطينية.

(كاتبة سورية)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads